# اغتيال الشهيد عبدالله عزام

# ماذا يعني؟

* فجأة.. وبدون مقدمات بدأت حملة إعلامية منظمة واسعة ضد الوجود والدعم العربي للمجاهدين الأفغان.. وقد بدأت هذه الحملة تحديداً مع انسحاب آخر جندي سوفيتي من أفغانستان..

* بدأت فعلياً من «كابل» حيث راحت أجهزت الدعاية الحكومية الشيوعية تركز على الدعم العربي للمجاهدين.. وراحت تثير الشعب الأفغاني ذاته.. وذلك بإشعال فتيل التناقضات المذهبية.. فقد ادعت هذه الحملة المنظة أن العرب يهدفون من مساعداتهم للمجاهدين نشر المذهب «الوهابي»!! داخل أفغانستان.. وكان هدف الحكومة من هذه الحملة بث روح الفرقة بين المجاهدين الأفغان وبين العرب.

* لقد اكتشفت حكومة «كابل» أن دور العرب في دعم الجهاد الأفغاني دور حيوي وفعال.. لهذا نسّقت أجهزة الدعاية السوفيتية والحكومة الأفغانية عملها مع أجهزة المخابرات في تحقيق أهدافها.. وهو عزل الجهاد الأفغاني عن واحد من أهم مصادر دعمه.. وأهم روادفه..

* والغريب.. أن مع تصاعد هذه الحملة المنظمة من الجبهة الحمراء الملحدة (السوفييتية والأفغانية الحكومية العميلة) تصاعدت حملة أخرى في الصحف والإذاعات الغربية وعلى رأسها هيئة الإذاعة البريطانية (B. B. C) كذلك نشرت المجلات الأمريكية والبريطانية تحقيقات عن نفس الموضوع.



* لم يوقف الاتحاد السوفيتي دعمه بالسلاح لحظة واحدة على مرأى ومسمع من العالم.. ووصل معدل هبوط الطائرات السوفييتية لإمداد حكومة كابل بالأسلحة طائرة كل ٦ دقائق.. وصواريخ سكود متوسطة المدى.. أيضاً تشهد على طبيعة الدعم السوفيتي واستمراره بصورة لا جدال فيها ولا شك.. إلا أن تواجد بعض المتطوعين العرب داخل صفوف المجاهدين الأفغان في نظر الاتحاد السوفييتي والحكومة العميلة هو الذي يهدد إتفاقية جنيف..

* لقد واكب الجهاد مرحلة هامة ومصيرية في تاريخ الصحوة الإسلامية التي يشهدها العالم كله.. لقد أصبحت مظاهر الصحوة الإسلامية حقيقة لا جدال فيها، حيث أخذت مظاهرها تتضح في:

*** صحوة فكرية وثقافية، وذلك بالعودة إلى الأصول الصافية للعقيدة واستلهام المنهاج الفكري المعاصر على أسس العقيدة الإسلامية.**

*** صحوة اجتماعية، وذلك بعودة المجتمعات الإسلامية إلى أسس الحياة الإسلامية، وتطبيقاتها الإسلامية.. وأفضل مثل على ذلك انتشار الحجاب (طوعاً) بين الفتيات والنساء المسلمات.**

*** صحوة جهادية، وتمثل ذلك في محاولة دفع الظلم الواقع بالقوة والقهر على الشعوب الإسلامية، وذلك بالجهاد بشتى السبل ومنها القوة المسلحة، وكان الجهاد الأفغاني هو الرمز.**

* لقد تردد صدى الجهاد الأفغاني في العالم كله.. ولفت الأنظار إلى تلك القوة الكامنة التي تفجرها العقيدة في مواجهة أقوى قوة مادية على وجه الأرض.. قوة تمتلك أقوى جيش في العالم وأحدثه.

* لقد تردد صدى هذا الجهاد في العالم، واكتشف العالم كله قدرات العقيدة وإمكانياتها، وبدا كثير من الشعوب الإسلامية المستضعفة تتحرك.. فبدأت حركة جهاد في الفلبين، وحركة مماثلة في أرتيريا، وبدأت الشعوب

الإسلامية تتخلص من مشاعر الذل والهوان أمام الظلم، وها هي الانتفاضة الفلسطينية التي بدأت من المساجد، وبدأت بهتاف الله أكبر، تتحدى قوى القهر والظلم على أرض الرسالات، وفي نفس الوقت نشطت المؤامرات.

* لقد كان اغتيال الدكتور عبدالله عزام منذ أسابيع قليلة مرحلة في سلسلة منتظمة من الأحداث لمقاومة الوجود العربي في أفغانستان.. وكان أهم هذه المراحل على الإطلاق هي عملية الهجوم المضاد على قوة المتطوعين العرب التي كانت تساند المجاهدين الأفغان في حصارهم لمدينة «جلال آباد»، لقد كان من أحد أهداف النظام العميل في كابول أيام ٣، ٤ يوليو ١٩٨٩م هو كسر حلقة الحصار حول مدينة «جلال أباد» ومهاجمة قوة المتطوعين العرب التي أنشأت موقعاً أطلقت عليه «مأسدة الأنصار»، وخاضت هذه القوة تحت قيادة أميرها الشاب السعودي «أسامة بن لادن» معارك شرسة بجوار المجاهدين الأفغان، وقدمت في سبيل ذلك عشرات من الشهداء، لقد كان هدف الهجوم المضاد هو القضاء على هذه القوة، ثم محاولة أسر بعض المتطوعين العرب للتشهير بالتواجد العربي في أفغانستان.

* منذ حوالي شهر ونصف ضبطت محاولة لاغتيال الدكتور عبدالله عزام في بيشاور، فقد اعتاد المتطوعون العرب أن يؤدوا الصلاة في مسجد الهلال الأحمر الكويتي، وبعد تزايد عدد المتطوعين العرب، أنشئوا مسجداً أطلقوا عليه اسم أحد الشهداء العرب، وهو الشهيد «سبع الليل» اليمني الجنسية والذي استشهد في «مأسدة الأنصار» منذ عامين، وكان الدكتور عبدالله عزام واحد من الخطباء الرئيسيين في هذا المسجد.

*** لا شك أن توقيت إغتيال الدكتور عبدالله عزام توقيت مقصود.. فقد حملت وكالات الأنباء خبر أن إحدى الطائرات السعودية قد تعرضت أيضاً لمحاولة تخريب.. في نفس يوم استشهاد الدكتور عبدالله عزام.. ومن المعروف أن السلطات السعودية كانت قد أصدرت أوامرها بتخفيض ثمن**



**تذكرة السفر من جدة إلى باكستان للشباب السعودي الراغب في دعم الجهاد، ولهذا تدفق الشباب العربي إلى باكستان. خاصة بعد أحداث معارك «مأسدة الأنصار» عام ١٩٨٧.**

* إن حادث الاغتيال وحادث ضبط عبوة ناسفة على إحدى طائرات شركة الطيران السعودية، مع الضغوط الدولية لوقف سفر أي شباب عربي إلى أرض الجهاد، بل وصل الأمر إلى منع تأشيرة دخول باكستان عن بعض الأطباء العرب المتطوعين لخدمة المجاهدين الأفغان.. كل ذلك يؤكد أن الهدف الآن هو عزل الجهاد الأفغاني ومحاولة تشتيت جهوده ومنع الدعم الإسلامي الشعبي عليه، والذي تمثل في تبرعات هائلة تم جمعها من الشعوب الإسلامية كلها.. ساهمت هذه التبرعات في التخفيف عن الشعب الأفغاني وذلك بإقامة المستشفيات، والهيئات الإغاثية، والإعانات.. كذلك وقف الدعم الإعلامي وبالتالي السيطرة على الجهاد الأفغاني ككل.

* لقد اغتيل شاب سعودي عام ١٩٨٦م في منطقة «باره شينار» واسمه «يحيى سينور» وكان هذا الشاب يحمل بعض التبرعات إلى مخيمات المهاجرين الحدودية بنفسه ووقع في كمين دبرته المخابرات السوفييتية والمخابرات الأفغانية «خاد» وتعرض موقع «مأسدة الأنصار» بعد ذلك بعام واحد ١٩٨٧م لهجوم كاسح من القوات السوفيتية وصدته «مأسدة الأنصار» واستشهد في هذه المعارك أكثر من عشرين مجاهداً عربياً.. وكان لهذه المعركة أهمية كبرى.

*** لهذا كان اغتيال الدكتور عبدالله عزام مقصوداً لذاته، ومقصوداً لرمزه العام.. فقد لعب الدكتور عبدالله عزام دوراً كبيراً في الدعوة إلى مناصرة الجهاد الأفغاني، وزار العالم الإسلامي كله، وأوروبا وأمريكا يدعو في المجتمعات الإسلامية، وكان لحماسه في الدعوة للجهاد أثر كبير على جماهير المسلمين.** عصام دراز. (مجلة لواء الإسلام العدد العاشر).

# لمصلحة من قتل الشيخ عبدالله عزام؟

كان وقع الأحداث سريعاً في شهر نوفمبر ١٩٨٩م على الساحة الأفغانية بعد أن شهدت من قبل فترات من الرتابة المتقطعة غالباً ما تسبق الأحداث الجسام.

وقد برز حادث استشهاد الدكتور عبدالله عزام ليغطي على أحداث الشهر الكثيرة وإن لم يغير من وقعها وفاعليتها على الساحة العالمية إذ أن ما يقع فعلاً يصبح جزءاً من التاريخ وقد يمكن محو أثره وقد لا يمكن ذلك.

ولكن حادث استشهاد الدكتور عزام سيرسم ـ بدون شك ـ بعض سمات العمل المستقبلي ومعالمه في القضية الأفغانية، كما لا يخفى أن غياب الشيخ ـ رحمه الله ـ عن ساحة القضية الأفغانية من جراء ذلك الحادث البشع سيؤثر كذلك في معدلات الأداء في العمل الإغاثي سلباً أو إيجاباً أحدهما أو كليهما، ومبررات ذلك عديدة ليس هذا مكان تفصيلها، ولكن يأتي في مقدمتها شخصية الرجل وعلمه وعلاقاته وكثرة تحركاته بالقضية الأفغانية على الساحة المحلية والإقليمية والعالمية، فضلاً عن الثقة التي حظى بها الشيخ عند الأفغان عموماً والمحسنين من أبناء الأمة خصوصاً، ويمكن أن نضيف إلى ذلك مقدرته على الخطابة وعرض القضايا والوصول إلى قلوب المسلمين من أقصر الطرق حتى صار الجهاد في أفغانستان عملاً شعبياً على ساحة الأمة.



ونظراً لكثرة القوى المؤثرة في القضية الأفغانية وعلاقات الشيخ ببعض هذه القوى الداعمة للجهاد الأفغاني وانفتاح الساحة في بيشاور عموماً أصبح من الصعب الوصول إلى تحديد واضح للجهة التي نفذت الحادث الذي أودى بحياة الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ برغم إمكانية حصر الجهات المستفيدة من الحادث.

وهناك سؤالان أساسيان يلحان على النفس بصفة مستمرة منذ أن وقع الحادث. هذان السؤالان هما:

١) من الذي قام بالحادث؟ ولماذا؟.
٢) ما الآثار المترتبة على الحادث؟.

وتستشف من التصريحات التي أدلى بها بعض المعنيين والمسؤولين عند محاولة الإجابة على السؤال الأول: أن الأمر لم يتضح بعد، فقد صرح قاضي حسين أحمد ـ أمير الجماعة الإسلامية في باكستان ـ أن هذا لا يمكن أن يتم دون تورط بعض القوى الباكستانية فيه. ومثل هذه الأعمال من اغتيالات وخلافه تقع في مجال اختصاصه، وتوزعت تهم أخرى نحو كابل وموسكو.

ولو حاولنا هنا حصر الجهات المستفيدة من هذه الجريمة البشعة لكثرت الاحتمالات وتعددت، ويأتي في مقدمة تلك الجهات.

* حكومة كابل وموسكو لتعجيز الجهاد.
* الصهيونية حتى لا تنتقل إلى معقلها التجربة الأفغانية.
* بعض النظم العربية والإسلامية خوفاً من عدوى الجهاد.
* الشيوعيون في باكستان عمالةً لكابول وموسكو.

وقد ذكرت الإذاعة البريطانية في نشرتها الإخبارية بـ «البشتو» يوم ٢٦/ ١١/ ١٩٨٩م بأن بعض المنظمات الأفغانية من غير المنظمات الأصولية كرهوا إشراك العرب في الجهاد وكرهوا الدكتور «عزام» بشخصه.

وفي مثل هذه الحالات تخرج التصريحات لتلفت الانتباه إلى فاعل غير حقيقي.

ومع تحديد الجهات المستفيدة نكون قد قطعنا خطوة واحدة في طريق تحديد الفاعل، حيث تبقى مسألة الأولويات عند الجهات المستفيدة وممارساتها السابقة وعلاقاتها بالنظام الحاكم في باكستان وطبيعة المجتمع القبلي على الحدود الباكستانية الأفغانية ومقدرة تلك الجماعات أو عملائها على رصد تحركات الشيخ بالدقة التي وقع بها الحادث.

أما بشاعة الحادث فتنم عن خسة الذين ارتكبوه ورغبتهم في أن يكون الحادث درساً للعرب في ساحة الجهاد وللقادة الأفغان أنفسهم، فالحادث رسالة مفتوحة لدعم الحل السلمي الذي ظل الشيخ يعارضه ويدعو للحل العسكري حتى لا تضيع ثمار الجهاد.

وفي هذا الصدد كذلك لا ينبغي أن نغفل المحاولات السابقة لاغتيال الشيخ والعملاء الذين كان يتم اكتشافهم من حين لآخر وقد اندسوا بين صفوف العرب المجاهدين وتدثروا ـ نفاقاً ـ بثوب الجهاد ليطلعوا على أسرار العمل وليعرفوا أبناء بلدانهم الذين شاركوا في الجهاد ليقيموا لهم المحاكمات والمشانق ويفتحوا لهم السجون والمعتقلات عند عودتهم إلى بلدانهم.

وخلاصة القول المحتمل عن السؤال الأول هي:

* «إن أعداء الشيخ وأعداء الجهاد من الكثرة بحيث يصعب في هذا الوقت القصير تحديد الفاعل، وإن الحادث وقع بهذه الصورة الشديدة ليكون درساً للعرب والمجاهدين الأفغان ولتعجيز العمل الإغاثي الإسلامي وبذر



بذور الشقاق والخلاف بين العرب والأفغان وتقديم مبررات كافية للنظام في باكستان لتحجيم دور العرب في الجهاد أو السعي لإيقافه».

* ولا يمكن أن نستبعد القبض على ضحية بشرية في المستقبل تلصق بها تهمة القتل لتبرئة ساحة القاتل الحقيقي. ومن المتبع في مثل هذه الجرائم أن ينشط رجال الأمن والشرطة فيتخذوا من الإجراءات ما يمكنهم من الوصول إلى القاتل، إذ أن حماية أرواح المقيمين على الأرض الباكستانية وأموالهم وأعراضهم أمانة في عنق النظام القائم، ومن ثم كان رد وزير داخلية باكستان في اجتماع مجلس الشيوخ في أوائل ديسمبر رداً غير صحيح عندما رفض طلب قاضي حسين أحمد مناقشة قضية اغتيال الشهيد عبدالله عزام في مجلس الشيوخ الباكستاني واعتبرها وزير الداخلية قضية إقليمية تهم بيشاور فقط.

* وعندما ننتقل للإجابة على السؤال الثاني: ما الآثار المترتبة على الحادث تتضح لنا بعض المعالم الرئيسية التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

## ١ ـ على الساحة العالمية:

* تفرح القوى العظمى لمثل هذه الحوادث سواء كانت من صناعتها أم من صناعة غيرها كما حدث أن رقصت الساحة الأمريكية عشية اغتيال الشهيد حسن البنا، وطبعاً سيروق هذا الحادث في اجتماع قمة مالطة بين بوش وغورباتشيف، عندما يناقشان القضية الأفغانية.

## ٢ ـ على الساحة الاقليمية:

* ينقص هنا عدد الذين يدعمون الحل العسكري بقوة وتنتفخ أوداج المتورطين في الحادث مما قد يشجعهم على ارتكاب حوادث أخرى مماثلة.

## ٣ ـ على الساحة الجهادية:

* لقد فقد الجهاد والمجاهدون سنداً قوياً لهم وصوت كان مرتفعاً للتعريف

بالقضية وبقائها حية في الأمة وفقد المهاجرون عقلاً يفكر لهم وروحاً تحمل مشكلاتهم وتسعى جادة لحلها.

* وقد تتخذ بعض الاجراءات فتكون ردود أفعال للحادث، وتقوم بعض المظاهرات منها ما هو خالص وصادق سعياً وراء الحقيقة ومنها ما هو رد فعل سياسي لتحقيق مكاسب من وراء هذا الحادث، وينبغي أن يدرك من هم وراءه بأن الإسلام يتطلب دقة ونظاماً وتخطيطاً ولا تفيده ردود الأفعال، وخلاصة القول أن الشيخ قد رحل عن الساحة وقدم روحه خالصة للجهاد، وكان يتمنى أن تتم المصالحة بين المجاهدين ليكونوا يداً واحدة وصفاً واحداً، وقد بدأت الخطوة الأولى في هذا باتفاق بين الحزب الإسلامي (حكمتيار) والجمعية الإسلامية (رباني) لتستقر روح الشهيد بهذا العمل الصادق بعد أن سعى له ـ مع من سعوا ـ سنوات طويلة.

* وقد قال أحد القادة الأفغان «لقد أحببناه رجالاً ونساءً وأطفالاً» وهذا القول الصادق يعبر عن منزلة الشهيد عند المخلصين من الأفغان.

* ولقد كان الشيخ المجاهد عبدالله عزام مدرسة وحده، بذل كل ما استطاع ـ مخلصاً ونحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً، له ما له وعليه ما عليه، وجاءته الشهادة التي تمناها لتجعل كل ما قدم له ـ إن شاء الله ـ.

* ولندرك جميعاً أن ليالي السياسة مظلمة حبالى يلدن كل عجيب، رحمه الله رحمة واسعة وأوسع له في فسيح جناته وإنا لله وإنا إليه راجعون. الأستاذ كمال الهلباوي. (مجلة الجهاد العدد «٦٣»).



## اغتيال عملاق الجهاد

* قال الله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾.

* إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وبعد،،

* لقد كان النبأ المزلزل الذي وقع على نفسي وما أظن أنني تلقيت خبراً في حياتي أشد منه. لقد فجع العالم الإسلامي والمسلمون في شتى أرجاء الأرض وهم يتلقون نبأ استشهاد المجاهد وقائد مسيرة المجاهدين العرب في أفغانستان الشهيد الدكتور عبدالله عزام ـ رحمه الله ـ وأسكنه فسيح جناته. إثر المؤامرة الإجرامية التي تعرض لها وهو في طريقه إلى مسجد سبع الليل لإلقاء خطبة الجمعة بتاريخ ٨٩/١١/٢٤م. فمرت السيارة التي كان يستقلها من فوق لغم بوزن (٢٠ كغم تي. إن. تي) كان قد زرعه الحاقدون المجرمون وبهذا العمل اللئيم الجبان.

* وقد انفجرت السيارة وتطايرت أجزاؤها في الهواء، وقد نتج عن هذا الانفجار استشهاد شهيد الأمة الإسلامية الدكتور عبدالله عزامي ومعه زهرتان من فلذات كبده (محمد نجله الأكبر وإبراهيم).

* وقد سارت الجموع الغفيرة وهي تودع كوكبة الشهداء (شهيدنا الغالي، ومحمد، وإبراهيم) إلى مقبرة الشهداء في بابي بعد أن صلى عليه الشيخ عبد رب الرسول سياف وجمع غفير من المجاهدين العرب والأفغان وغيرهم من المسلمين ممن حضر الجنازة.